

مزارات قرية جيزاني الإمام في ديالى تاريخها وأثرها الاجتماعي والروحاني

أ.م. د. ندى موسى عباس ، السيد فاضل محمد سعيد

جامعة ديالى _ كلية التربية (الأصمعي) قسم التاريخ ، نصابة السادة الموسوي محافظة ديالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الطريق إلى المزارات والأضرحة ليس سهلاً ولا صعباً ، إنه شيء من الوضوح ، وأشياء من الغموض ، فماذا يعني أن يكون عمر المزار أو الضريح مائتي عام أو أكثر ، ومازال مؤثراً ، وكأن صاحبه مازال حياً يعطي ويجود ؟ ! لقد طوى التاريخ ذكر الكثير من العظماء ، في حين نجد للعديد من القادة الروحانيين تأثيرٌ حي ، وولاء لهم في الحياة .

ما من أحد يمكنه نكران ، ما لهذه المزارات والأضرحة الشريفة من تأثيرات إيجابية في المجتمعات الموجودة فيها ، والمحيط بها ، ذلك لارتباطها الوثيق بمعتقدات تلك الشعوب ، وقد بات واضحاً للعيان ما تشيعه هذه المزارات الشريفة بقدسيته ، من جو روحاني ، يتغلغل بخفية إلى النفوس ، ليشعرها بالراحة والطمأنينة والأمان ، عابقاً بالتسامح والسلام ، دافعاً بالعلاقات الإنسانية نحو التعامل بشمائل فاضلة ، ومهذباً للسلوكيات الاجتماعية بنبل وسمو ، تاركاً وراءه اندماجاً تاماً وتلاحماً وثيقاً بين معتقديه ، قائماً على الأسس الإنسانية والإلهية .

تعد محافظة ديالى الثانية بين محافظات العراق ، بعدد المزارات والمرقد الشريفة ، لأولاد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) والأولياء الصالحين ، فرغم ما تعرضت له هذه المزارات والمرقد من تدمير في فترة التدهور الأمني ، الذي عصف بأغلب أفضية ونواحي وقرى المحافظة ، إلا إن الأهالي أعادوا تعمير الكثير منها ، بتبرعاتهم الخيرية ، طمعاً في الأجر الرباني ، ولنيل شرف بنظرهم لا يطاوله شرف. ولعل من أهم الأسباب التي كانت وراء هذا العدد الكبير من الأضرحة والمزارات في ديالى ، هي كثرة المعارك التي دارت على أرضها ، وموقعها الجغرافي ؛ فهي ممر الهروب إلى إيران هرباً من بطش وظلم بني أمية وبني العباس ، وقد سقط الكثير من الشهداء في المعارك ، وأحداث المطاردة والمسير على الأقدام من الجوع والعطش والحر والبرد ، ودفن البعض منهم سراً وخفية .

حاول الباحثان في ورقة العمل هذه ، وعلى ثلاثة محاور ، إجراء دراسة تاريخية وميدانية لمزارات قرية جيزاني الإمام في قضاء الخالص بمحافظة ديالى ، وبينتها الجغرافية والبشرية ، وبيان أثرها على مجتمع القرية من النواحي الثقافية والاجتماعية والروحية .

أولاً : قرية جيزاني الإمام .

1 - الاسم والموقع :

تقع القرية على بعد عشرين (20) كم جنوب غرب قضاء الخالص ، تابعة لناحية ههب ، شمال غرب بعقوبة ، وعلى أرجح التقديرات فإن عمر القرية يرجع إلى مائتي (200) سنة ، وتقدر مساحتها بثلاثين (30) كم² ، أما عد سكانه فهم بحدود خمسمائة وست عشرة (516) عائلة (1) .

عرفت القرية باسم قرية الإمام ، واشتهرت بكثرة المحاصيل الزراعية من بساتينها ، وحسب ما رواه لنا الزبيدي (2) ، وهو أحد المهتمين بتاريخ القرية ، إن كبار السن يذكرون أسم كان يطلق عليها وهو أرض الخير أو العطاء ، أما تسمية جيزاني الإمام ، فيعتقد الزبيدي ، إن تسمية جيزان قد أضيفت إلى أسم القرية فيما بعد ، وتعني قزان أي القدر الكبير الذي كان يطبخ فيه ثواب الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وبتقادم الزمن تحول القزان إلى جيزان (3) ، وهناك قرى أخرى تابعة منها لقضاء الخالص ، وفي نواحي من محافظة ديالى ، تشترك بتسمية جيزاني هي : جيزاني الجول ؛ وجيزاني الثعيلب ؛ وجيزاني النقيب ؛ والجيزاني التي تعرف حالياً بقزانية (4) .

ب - السكان :

تقطن القرية عدة عشائر نذكر منهم : السادة الموسوية والسادة الأعرجية ، وألبو سلطان والمعامرة ، وألبو عامر ، وألبو سعد ، والتمايمة ، والعكيدات ، وطبي ، وخفاجة ، والبيات ، وربيعة والزبيد ، والقيسية ، والعبيد ، وربيعة (5) .

ج - البيئة الجغرافية :

عرفت القرية حتى وقت قريب بجودة أراضيها ، ووفرة المياه فيها ، وفيما يذكر مؤرخ القرية الزبيدي إن هناك شجرة عنب في احد البساتين عمرها خمسون (50) عاماً ، وقد

ظلت تقاوم الإهمال وعدم الإرواء خاصة في الصيف وما تزال تطرح ثمرها ، وقد اشتهرت القرية أيضا بالثروة الحيوانية المتمثلة بآلاف القطعان من الأغنام والأبقار (6) ، إن الإهمال هو وحده المسئول عن تدهور الزراعة في هذه القرية التي ما تزال بساكنها تشهد على تربتها الخصبة . علماً إن أجواء وطبيعة هذه المزارات يمكن أن تعطي أفضل الفرص للسياحة الدينية ، والترفيهية لسكان المحافظة والمحافظات القريبة .

د - البيئة الثقافية والروحية :

من دراستنا لمخطوطة الزبيدي في تاريخ قرية جيزاني الإمام (7) ، نستطيع أن نلاحظ إن القرية تمتعت ومنذ وقت مبكر من تاريخ العراق المعاصر ، بنشاط أدبي متميز ، ووعي ثقافي بأهمية التربية والتعليم ، والتحصيل الدراسي العالي ، نستدل على ذلك بعدد المدارس وقدمها ؛ فأقدم مدرسة في التعليم الأساسي هي : مدرسة جيزاني الإمام الابتدائية ، والتي تأسست سنة 1353 هـ / 1934 م ، وبعدد الخريجين والمتعلمين من كافة المراحل الدراسية ، من الموظفين والكفاءات العلمية ، وبعدد قراء القرآن الكريم وبالتنافس الشديد الذي كان يحصل في قراءته ، وبعدد الشعراء من أهلها ، الذين كانوا يحضرون في كل مناسبة تشهدها القرية ، لإلقاء خطبهم وأشعارهم ، في صور وأنماط عديدة من الشعر منها الشعبي ومنها الفصيح ، ويتسامرون بها في مجالسهم المنتظمة الخاصة والعامة ، فضلاً عن الروايد للقصائد الشعرية الحسينية ، والمحاضرات التي كانت تلقى في المناسبات الدينية والمآتم ، سواء في المساجد أو الحسينيات ، أو في الدور الخاصة ، أو في الباحات الفسيحة داخل وخارج مركز القرية والتي كانت تتم الترتيبات لها في غاية التنظيم .

كانت الروح الاجتماعية في قرية جيزاني الإمام ، تظهر واضحة في التآلف والتكافل الاجتماعي بين أبناءها ، وتكاتف جهودهم في الأعمال الشعبية والخيرية وحتى في الواجبات الدينية ، وفي تقديم النصح العام لشباب القرية من أبنائها وحثهم في كل مناسبة على الجد والاجتهاد ، وتقديس العمل التعاوني ولما فيه صالحهم وصالح أهل قريتهم ، وكانت بوادر هذا الحث على المروءة والعمل الجماعي يظهر بوضوح في عمليات ترميم وبناء المساجد والحسينيات ، وفي حالات المواساة للعوائل الفقيرة والمتعففة ، وبكل طريقة لطيفة وأسلوب مهذب ، وفي ذلك يدفع الجميع صغاراً وكباراً الو اعز الأخلاقي والدافع الديني ، واحترام قدسية أصحاب الأضرحة والمزارات التي بين ظهرانيهم ، بتمثل قيم ومثل أهل البيت أئمة وموالين .

كان الدفاع عن أهل القرية ضد تنظيم القاعدة والمسلحين الذين قدموا من جهة منطقة عرب ثعلب في مساء السابع عشر من حزيران سنة 2007 م ، لهو أروع تكاتف بطولي لحماية القرية وأهلها فقد أنبرى شبابها في تلاحم مثالي في صد الهجمات الشرسة عليهم ، بما توفر لديهم من سلاح بسيط وعقل واعي تعلم التنظيم في تسيير الأمور الجماعية في حملات تطوعية شعبية ، وكأنهم ضمن عائلة واحدة كبيرة (8) .

ثانياً : المزارات الستة .

1: السيد كمال الدين :

أ- نسبه ووفاته :

هو أبو ناصر الفقيه كمال الدين علي بن السيد سليمان فخر الإسلام بن أبي سليمان جعفر الموسوي بن أبي العشائر الصالح موسى بن أبي الحمراء (ويقال لوُلِدِه آل أبي الحمراء) محمد بن أبي محمد علي الطاهر بن علي الضخم (9) ، بن أبي علي الحسن بن أبي الحسن محمد الحائري العقار وقبره في الحي قرب نهر الغراف ومزاره معروف فيها ، بن تاج الدين أبي محمد بن تاج الدين أبي محمد إبراهيم المجاب ، وقبره في الحائر الحسيني المقدس ، بن محمد العابد بن الأئمة الأطهار موسى بن جعفر الكاظم بن محمد بن علي الصادق بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ويعرف عند الأهالي بجمال الدين (10) .

ب - وفاته وسبب مدفنه بالقرية :

كان للإمام في القرية التي عرفت فيما بعد باسمه بستان ، وكان يقيم في هذا البستان ، وعند وفاته دفن حيث بستانه ، وقد تناقلها أبناء المنطقة أب عن جد ، وتشير المصادر إلى وفاته ، بأنها في حدود سنة 666 هـ / 1267 م (11) .

ج - سيرته ونسله :

عرف السيد كمال الدين بورعه وتقواه ، وكانت له كرامات في حياته ، استمرت بالظهور بعد وفاته تناقلها أهالي القرية أب عن جد (12). ومن الكرامات التي تناقلها أهالي القرية في مدة الاضطراب الأمني رؤى البعض منهم بما أشبه بالملائكة تحمل القنابر بعيدا عن القرية ، وقد كانت في الحقيقة تنحرف عن مسارها فلا تسقط على منازل الأهالي .

خلف السيد كمال الدين ورائه عدة أسر من نسله انتشرت في داخل العراق وخارجه ، نذكر منها الأسرة الغريفية (بضم الغين) (13) ، نسبة إلى منطقة غُريفة إحدى القرى من توالي البحرين الكبرى آنذاك ، والكائنة في الطرف الجنوبي من قرية الشاخورة ، وقد خربت ، وظهرت قرية أخرى بنفس الاسم هي الآن عامرة ، وقريبة من قرية الماحوز ، وأول من هاجر من هذه الأسرة إلى البحرين هو السيد عبد الله البلادي بن علي بن حسين بن أحمد ابن عبد الله بن عيسى بن خميس بن أحمد بن ناصر الدين بن السيد كمال الدين (14) ، وذلك في حدود سنة 919 هـ / 1513 م ، ولم تشر المصادر إلى سبب استيطانهم تلك البلاد وقد تسلمت هذه الأسرة زعامة وإمامة بلاد البحرين لمدة ليست بالقصيرة ، وهي الآن إحدى الأسر المعاصرة الحائرية المجابية الموسوية الحسينية العلوية المحمدية الهاشمية العريقة برجالها علماء وخطباء وأدباء (15) . قبل أن يعودوا إلى الهجرة من البحرين قبل 400 أربعمئة سنة إلى العراق وهاجرت مجموعة أخرى من العائلة إلى العراق وغيره من البلدان منها المحمرة والإمارات وشيراز وغيرها وذلك قبل 200 مائتي سنة (16) .

د - العلماء من نسله :

لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً ونكتفي بذكر عدد منهم :

العالم السيد زين ❖

العابدين (المتوفى سنة 1305 هـ / 1887 م) ، بن هاشم بن عابدين بن محمد بن عبد الله البلادي الغريفي . (17)

الفقيه السيد ❖

الحسين بن السيد الحسن بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن خميس بن أحمد بن ناصر الدين بن أبي ناصر علي كمال الدين . (18)

المرجع السديني ❖

سماحة السيد علاء الدين السيد موسى دام ظلّه بن السيد محمد علي بن السيد

محسن بن السيد محمد السمان بن السيد علي بن السيد إسماعيل بن السيد محمد الغياث بن السيد علي المشعل الأول بن السيد أحمد المقدس (الملقب بالحزمة الشرقي) بن السيد هاشم بن السيد علوي (عتيق الحسين عليه السلام) بن السيد حسين الموسوي البحراني الغريفي (قدس سره الشريف) بن السيد السعيد الحسن بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن خميس بن أحمد بن ناصر الدين الفقيه بن أبي ناصر علي كمال الدين . (19)

هـ - عمارة الضريح :

شكل غرفة الضريح سداسي ، بقبة فوق الضريح ، وتحيط بأضلاعها الشبابيك ، وهي متصلة بمسجد النساء ، وللغرفتين بابين منفصلين . وقد تعرض الضريح إلى التفجير في تاريخ 14 الرابع عشر من حزيران سنة 2007 م ، عصر يوم الخميس ، من قبل مسلحي القاعدة ، في خضم أحداث الحرب الطائفية ، التي مرت بها محافظة ديالى كما في عدد من محافظات العراق ، وقد أعيد بناؤه بتبرعات الأهالي الخيرية ، على إن البناء ما يزال يحتاج إلى الكثير من المال لإتمام بناؤه .

ثالثا : مزار إبراهيم بن مالك الأشتر :

أ- نسبه وسيرته :

هو إبراهيم بن مالك الأشتر (الأجدر) (قائد جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن جديثة بن سعد بن مالك بن النفع النخعي (20) ، وهو رجل مؤمن مجاهد ، وقائد شجاع ، متقي ثقة عند أهل بيت النبوة وموضع رسالته ، ويستحق مزاره وضريحه كل عناية وبذل وأعمار ، كان موالياً لأهل البيت عليهم السلام ، ناصرهم لهم ، وكان يعطي صورة عن والده مالك وقد بايع إبراهيم بن مالك المختار بن أبي عبيدة الثقفي بالكوفة ، لأخذ الثأر بدم الإمام الحسين (عليه السلام) بكل ما أوتي من قوة (21) .

قابل إبراهيم بن مالك جيش الشام في حدود العراق جانب الموصل ، وأستطاع أن يقتل عبيد الله ابن زياد ، وحز رأسه وأرسله إلى المختار في الكوفة ، كما قتل عدد من الوجوه غيره ، فبعث رأسه ورؤوس أعيان من كان معه إلى المختار ، (22) وقد جيء بالرؤوس إلى

المختار وهو يتغذى فألقيت بين يديه فقال : “ الحمد لله رب العالمين وضع رأس الحسين بن علي (عليه السلام) بين يدي ابن زياد وهو يتغذى وألقيت برأس ابن زياد وأنا أتغذى ” (23)

لما فرغ المختار من الغذاء قام فوطاً وجه ابن زياد بنعله ، ثم رمى بها إلى مولى له ؛ فقال : “ أغسلهما فأني قد وضعتهما على وجه نجس كافر (24) ؛ ثم بعث بالرأس إلى المدينة المنورة إلى محمد بن الحنفية ، والإمام علي السجاد زين العابدين بن الحسين (عليهما السلام) فأدخل عليه (عليه السلام) وهو يتغذى ؛ فقال الإمام علي السجاد : “ أدخلتُ علي ابن زياد وهو يتغذى ، ورأس أبي بين يديه فقلت : اللهم لا تمنني حتى تريني رأس ابن زياد ، وأنا أتغذى ؛ فالحمد لله الذي أجاب دعوتي ” ثم أمر به فرمي (25) .

بقي إبراهيم بن مالك الأشتر والياً على الموصل ونواحيها بعد استشهاد المختار ، الذي كان قد ولاه عليها ، ومن ثم أصبح بعد مبايعته لمصعب بن الزبير ، من أصحابه وقائد جيشه ، شهد معه الوقائع وولي له الولايات ، وقاد جيوشه في مواطن الشدة ، وكان مصعب يعتمد على إبراهيم بن مالك الأشتر ويثق به ، وكان يقول بعد استشهاد إبراهيم بن مالك : “ يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ! ” (26) ، على إنه أستشهد في الواقعة التي التقى بها جيش مصعب بن الزبير وجيش عبد الملك ابن مروان ، فيذكر المسعودي مقتله بقوله : “ اشتبكت عليه الأسنة ؛ فبرى منها عدة رماح... ودارت به الرجال وازدحموا عليه فقتل ” ، وحز رأسه وأحرق جسده الشريف (27) .

يشير ابن الأثير إلى حادثة استشهاد إبراهيم بن مالك الأشتر فيروي قائلاً : “ فقدم عبد الملك أخاه محمداً ، وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر ؛ فالتقيا فتناوش الفريقان فقتل صاحب لواء محمد ، وجعل مصعب يمد إبراهيم ، فأزال محمداً عن موقفه ؛ فوجه عبد الملك عبد الله بن يزيد إلى أخيه محمد ؛ فأشتد القتال ؛ فقتل مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة ، وهو من أصحاب مصعب ، وأمدة مصعب إبراهيم بعتاب بن ورقاء ؛ فساء ذلك إبراهيم ، وقال : قد قلتُ له لا تمدني بعتاب وضربائه ، وأنا لله وأنا إليه راجعون ! فانهمز عتاب بالناس ، وكان قد كاتب عبد الملك وبإيعه ، فلما أنهزم صبر ابن الأشتر فقتل ، قتله عبيد بن ميسرة مولى بني عُذرة وحمل رأسه إلى عبد الملك ” (28) .

كان إبراهيم بن مالك الأشتر ثقة نزيه ، فيذكر كل من المسعودي وأبن الأثير قصة الكتب التي بعثها عبد الملك الأموي إلى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه ، وبذل لجميعهم أصبهان طعمه ، وقيل إن كل من كاتبه طلب منه إمرة أصبهان ، فقال : “ أي شيء هذه أصبهان حتى كلهم يطلبها ! ” ، فكل من ألقى كتابه ، إلا إبراهيم بن الأشتر فإنه أحضر كتابه عند مصعب مختوماً ، فقرأه مصعب فإذا هو يدعو إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق ، فقال له مصعب : “ أتدري ما فيه ؟ قال : لا . قال : يعرض عليك كذا وكذا ، وإن هذا لما يرغب فيه . فقال إبراهيم : ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة ، والله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بإيأس منه مني ، ولقد كتب إلى أصحابك كلهم مثل الذي كتب إلي ، فأطعني وأضرب أعناقهم . قال : إذا لا يناسبني عشائهم . قال : فأوقرهم حديداً وأبعث بهم إلى أبيض كسرى وأحبسهم هناك ووكل بهم من إن غلبت وتفرقت عشائهم عنك ضرب رقابهم ، وإن ظهرت مننت على عشائهم بإطلاقهم . فقال : إنني لفي شغل عن ذلك ... ” (29)

ب - نسبة القبر :

وهو منسوب خطأ إلى السيد إبراهيم بن الإمام الحسن المثنى ، وقد ارتبط وجوده بالكثير مما يرويه أهالي القرية ، من الرؤى والإمارات ، ولكن من دون تحديد هويته ، وكانت تقوم على خدمة المقام امرأة وتوارث أبنائها ذلك ، قبل أن ينقطعوا عن ذلك لأسباب أمنية .

يعتقد الأهالي إن القبر لإبراهيم بن الحسن المثنى الزكي بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، في حين إن المتعارف عليه إن مرقد في الكوفة ، بقبة بيضاء صغيرة ، شمال مرقد ميثم التمار ، وسط الحي الجديد في الكوفة ، على يسار الذهاب من النجف إلى الكوفة ، وظهر قبره على الأصح في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وهو الملقب بالغمر لوجوده ويكنى بأبي إسماعيل (30) .

يرى النسابة الموسوي إن الخطأ هو تشابه في الاسم الأول ، إبراهيم ، وإن هذا القبر هو لإبراهيم بن مالك الأشتر ، لا كما هو مدون على اللوحة الموضوعة على واجهة المزار ، باسم السيد إبراهيم بن الإمام الحسن المثنى ، وثبت عنده من تتبع المصادر والمقارنة الزمانية والمكانية للقبر ، فما هو مسلم به ولا خلاف عليه بين المؤرخين إن في هذه البقعة قبر إبراهيم بن مالك الأشتر ، حيث أستشهد في هذه البقعة (31) .

ج - موقع القبر تاريخياً وهيئته :

قتل عند دير الجائلق (32) ، وحز رأسه ، وأحرق جسده الشريف من قبل أتباع بني أمية في نواحي يبعد عن دجيل أربع فراسخ على الجادة القديمة بين سر من رأى وبغداد ، بينه وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، وبينه وبين سر من رأى ثمانية فراسخ ، ومنه إلى الكرخ ومقابر قريش عشرة فراسخ على بعض الطرق التي تعارف السير فيها قديماً ، في موضع قريب من أوان وعكبرا (33) .

الضريح على التل الأحمر بالاتجاه الغربي للقريّة ، كما جاء في الكامل “ واليوم قبره في الصحراء على علو عامر قديم البناء على مرتفع في الأرض ” (34) ، عليه قبة مبنية بالآجر والجص ، مربعة الشكل من تحت ، ومدورة من فوق .

رابعاً : بنات الحسن :

في بساتين القريّة تقع أضرحة منسوبة لبنات الحسن ، وهن العلوية زهرة بنت الحسن (عليه السلام) ، والعلوية خديجة بنت الحسن (عليه السلام) ، وسكنه بنت الحسن (عليه السلام) ، والعلوية فاطمة بنت الحسن (عليه السلام) .

من المعروف إن هناك الكثير من الأضرحة المسجل عليها أسم ينسب لبنت من بنات الحسن ، ففي ديالى وحدها العشرات ومثلها في النجف ، وغيرها من محافظات العراق ، بحيث بلغ العدد المائتين في حين إن للإمام الحسن حسبما أقره النسابون والمؤرخين أربعة بنات فيهم واحدة فقط أسمها فاطمة ولكن لم يقرر أحد مكان قبورهن ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الإمام الحسن (عليه السلام) قضى معظم حياته في نجد والحجاز ، ولم يقيم في العراق إلا في مدة حياة والده الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ولم يبق إلا مدة قصيرة بعد وفاته ، فكيف نقلت قبور بناته إلى العراق وهن في نجد أو الحجاز ، وهنا يرى النسابة الموسوي(35) ، إن من أسباب هذه النسبة لهذا العدد الكبير من الأضرحة وحسب ما يعتقد هو :

1 - إن هذه القبور هي في الحقيقة لعلماء ، أعطوا هذه النسبة ، كي لا تندثر قبورهم .

2 - محاولة الطغاة من خلفاء بني أمية وأتباعهم وأشياعهم ، ومثلهم خلفاء بني العباس ، في إظهار الإمام الحسن (عليه السلام) في إن له العشرات من النساء ، وأعداد كبيرة من

البنين ، والكثير من البنات ، فهو يتقلب بين النساء ، ولا هم له سوى إشباع غريزته ، وهدفهم التغطية على المجون واللهو والخمور والفجور الذي يرتعون به هؤلاء الخلفاء وبعض ولاتهم ، ودخل معهم في توافق المصالح ضد آل البيت الخوارج والمارقين وأعداء الدين .

3 - من الملاحظ إن عدد من ولاة العثمانيين قد ركزوا على نفس النهج التي برزه وطبقه من سبقهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين ، فقد أصدر مفتي الإمبراطورية العثمانية منشوراً لا يسمح ببناء القبور ؛ ففيما عدا قبور آل الرسول من ذرية الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، وهو ما دعا الناس إلى كتابة هذه العبارة " قبر بنت الحسن " عندما يموت منهم عالم ، أو رجل من الأولياء الصالحين لكي لا ينثر قبره تكريماً له (36)، والأهالي يتناقلون هذه المعلومة فيما بينهم ، كما أنهم يرون انه من غير مسموح فيه زيارة هذه الأضرحة المكتوب عليها بنات الحسن من قبل الرجال ! ، ويبدو إن سبب ذلك يرجع إلى الأصل المشكوك به في حقيقة نسبتها إلى بناء الحسن .

خامساً : مظاهر المزارات :

أ - العناية بالأنساب :

لعل أخطر ما في هذه الورقة هو : تحديد نسب صاحب المزار ، أو الضريح ، وحسبنا ما ذكره الحسيني في ذلك بقوله : " فالسبب الوحيد باهتمام العرب بالأنساب في جاهليتها ، واعتنائها بحفظها ليدفعوا به الكوارث والأخطار عنهم من الطعن بهم فتكون حصناً لجمعهم ووسيلة لانضمام شملهم ، وشد عرى أزهرم ؛ فحفظوها ورووها ، وكانوا يفتخرون بها ؛ فمن كانت مآثر آباءه أكثر كان أرفع عندهم نسباً ؛ فالبيوتات أنما وسمت بالشرف وقرنت بالفضل وصار لها صيت وسمعة لأسباب ظاهرة ، ومثاله إذا توالى لرجل شريف أباً شرفوا قبله أجداد ؛ فإنما شرف بقدر ما أتصل به " (37) .

المظلومية على أنساب المزارات عبر التاريخ ، وما جرى من التصحيف والتحريف ، لكثير من أصحابها ، بين واضح ؛ فمنذ عهود الدولة الأموية ومن بعدها العباسية ومن تلاها من الدول ، خاصة العثمانية ، كانت المحاولات مستمر لإخفاء ذكر أولاد الأئمة وعلمائهم والشهداء في سبيلهم ، وتلاعبوا بأسمائهم وألقابهم وتاريخ سيرهم .

ب - الزيارة :

رب سائل يسأل ما أهمية زيارة الأضرحة والمقامات ، التي لا تختلف عن زيارة القبور ، فلماذا كل هذا الاهتمام والتركيز ؟ نقول إن الفرق هو في السيرة العطرة والحياة المشرقة لأصحاب هذه المزارات والحافلة بالعطاء وبالمثل العليا التي ثبتتها في مواقفها البطولية ، والتي لن تتغير معانيها مع توالي القدم عليها ، وكذا السر في جمالية قيمها ومبادئها ، التي هي بمثابة هدايا مقدمة على أطباق من ذهب للإنسانية في تاريخها.

يشير الشيخ جلال الحنفي إلى هذا المعنى بقوله : “ فمن كان من ذوي المحامد فهم أجدر بالتقدير والاعتزاز ، ومن ذكر صالحاً من المؤمنين المعروفين بالتقوى ، والزيارة والذين يمضون أيامهم في سبيل الإرشاد والنصح ، وينفقون أموالهم في سبيل المحتاجين والفقراء ؛ فإن الذي يذكرهم بزيارتهم في أرماسهم إنما هو يثني على حسن مواقفهم ، ويثبت جميل أعمالهم في دنياهم ... لأنه يسهم في نشر الفضيلة والمعروف ويشجع على بذل الخير ... ” (38)

لعل كلمة العامري هنا خير جواب للسؤال بقوله : “ ... رب رجل صالح تنزهت سيرته من كل شائبة ونذر حياته لعمل الخير على طريقته الخاصة ، وكرس سنوات العمر في الدعوة إلى التآخي ونبذ الخصومات ، ثم رحل بقلب سليم ؛ فأستحق من مرديه تخليداً وتقديراً ، كشاهد على سيرته الناصعة فالأمر في منتهى الأحقية ، مهما كانت المبادئ التي سار عليها إن كانت لا تتعارض مع النهج الإنساني في أي خط من خطوطها العريضة ، بصرف النظر عن نوعية الانتماء ؛ فالأديان لله والوطن للجميع ” (39) كما يرى العامري بأن الكثير من الناس لا يعرفون عن المزارات العامة ، “ إلا النزر اليسير من المعلومات السطحية ، وخاصة بالنسبة للمزارات المتناثرة في المناطق النائية ، باستثناء مزارات أهل البيت الأطهار ، لأنها غنية عن التعريف ، بالنسبة للسواد الأعظم من الناس ، لأن رموزها من صلب الدوحة الهاشمية ، وهذا ما يعرفه حتى أصحاب المزارات الأخرى ” (40) .

من الملاحظ إن الأنساب عموماً تحث على حسن السيرة ، وتسجيل الأعمال المجيدة المخلدة لأصحابها ، لعموم الناس فكيف بمن يمت للدوحة المحمدية الشريفة بصلة نسب ؟ والى ذلك يشير الحسيني بقوله : “ ولذلك قيل : فلان في بيت نبوة وبيت إمامة وبيت علم وبيت شجاعة وبيت كرم ، لما سبقت له من العروق المتناسبة ، وإنما نسبت العلماء البيوتات ، وأعطتها الفضل على غيرها ؛ لأنها اجتمعت فيها ست نجباء ولا فوقهم شيء ، ولا دونهم شيء ، ولم نجد بيتاً من العرب أتصف بذلك سوى أئمتنا أهل البيت عليهم السلام

؛ فأنتهم نجباء من ابتدائهم وهو آدم عليه السلام إلى انتمائهم وهو قائمهم غير مدافعين عن حقهم ، ولا يساويهم بيت شريف وأن شرف ، ولا يوازيهم نسب وأن أشتهر وعرف لأنهم مشاركون في صراحة رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فأسكت به كل ناطق وأقام إليه كل قاعد .'' (41)

لقد أعتاد الأهالي سواء في قرية جيزاني الإمام ، أوفي عدد من قرى ديالى القريبة منها على الزيارات المنتظمة لهذه المزارات ، بشكل منتظم في الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى ، كما في الأيام الاعتيادية ، فضلاً عن إقامة المواكب الحسينية في باحاتها الفسيحة ، أو إقامة الجلسات التثقيفية ؛ وإذن من حتميات مثل هكذا نشاطات ولادة حركة ثقافية ودينية ، مرتبطة ومتواكبة بما تشهده العواصم الكبرى للمزارات كالنجف الأشرف وكربلاء المقدسة ، في حماسة دءوبة ومتنامية .

ج - الرؤى الكرامات :

يمكن القول إن الكرامات هي إحدى الطرق التي كان لها دور مهم وخطير في الكشف عن قبور وأضرحة أولاد الأئمة ، وذريتهم ، والأولياء الصالحين ، الذين أعطوا حق الله في دنياهم ، صدقاً وإخلاصاً وتضحية ؛ فأعطاهم الله الكرامة بعد وفاتهم ، وقد روى لنا أهالي جيزاني مثلاً الكثير من كرامات صاحب القبر الذي يجزم النسابة الموسوي إنه لإبراهيم بن مالك الأشتر (42) .

يروى أهالي قرية جيزاني الإمام الكثير من الكرامات المنسوبة للإمام السيد علي كمال الدين (عليه السلام) نذكر منها ما يأتي :

1. كان بعض فلاحوا القرية يزرعون ارض الإمام بالمحاصيل الصيفية ، مثل الخيار والطماطة وغيرها من المحاصيل وحدث إنهم كانوا يجدون الخيار مقطوع ، ولا يعرفون سبب هذا العمل ، هل هو مسروق أم ماذا ؟ وسئل احدهم الآخر عن هذا الأمر ، وتعجبوا من ذلك ، فدعوا من الله وبجاه الإمام أن يروا صاحب هذا العمل ، وفي الصباح الباكر رؤوا ثعلب ميت في الخضرة ، وفي فمه خيارة فسمو الإمام عليه السلام أبو خيارة .

3. جاء رجل مع زوجته وابنهم المريض إلى الإمام كمال الدين ، ودخلوا إلى الإمام فتعافى هذا الغلام ، وقام يتمشى بعد أن كان لا يستطيع المشي والوقوف على قدميه 0

4. جاءت امرأة من أهل الخير (فاعلة خير) ومعها فتاة طالبة كلية مصابة بمرض مفاجئ وعندما دخلت إلى حضرة الإمام ، وقد شفيت ببركة الإمام ، ويأتي الكثير من المرضى من أهل هذه القرية والقرى المجاورة لزيارة الإمام ويتم شفائهم ببركة الإمام عليه السلام .

5. روت امرأة من القرية المجاورة عن أبيها يقول : بأنهم ذهبوا إلى قرية مجاورة يحملون معهم بضاعة لغرض التجارة ، وفي إثناء الطريق هبت عاصفة ففرقت بينهم وبين مواشيهم ، وجاء الرجل إلى الإمام والوقت ليلا ، وجلس في باحة الإمام ، لكون باب حضرة الإمام كانت مقفولة بسلسلة حديد ؛ وعندما طلع الفجر سمع الرجل فتح الباب وقد قطعت السلسلة ، وانفتح الباب وسمع الرجل صوت يقول له : إن رفاقك ومواشيك قريبين عليك في الشارع الذي يمر قريبا من الإمام 0

6. روي شخص من أهالي القرية انه جاء إلى بستان الإمام ليأكل فاكهه ، وكانت الفاكهة (مشمش) ؛ فأكل وشبع ولكنه طمع فحمل في جيبه من هذه الفاكهة ، وعندما أراد أن يرجع إلى أهله رأى ثعبان اسود يحوم حوله ؛ فرمى من جيبه ما حمله ، وعند ذلك ذهب الثعبان إلى البستان ، وتركه وكثير من هذه الروايات قد حصلت في مثل هذه الأمور 0

7. في مساء 17- 6- 2007م ، قام الإرهابيين من القاعدة ، بتفجير قبة الإمام بالكامل ، وبعد يومين من التفجير شنوا هجوما على القرية ، بقوة تقارب ألف رجل أو أكثر ، يرومون قتل وتشريد أبناء القرية ، وتهجيرهم ولكن الله مع الحق ؛ فقد صمد أبناء القرية بوجه هؤلاء الأوباش ، إلى أن جاءت القوات الأمنية ، وقد فروا مذعورين وبعد ذلك كانوا تحدثوا بكرامة الإمام ، وكيف أنهم كانوا يرون رجالا معممين بعمائم سوداء ، يركضون خلفهم ويحملون بأيديهم السيوف والرماح ، ويضربوهم على رؤوسهم ، وهذه كرامة للإمام عليه السلام ، وهذه الكرامة اعترف به

الخاتمة :

من خلال ورقة العمل البحثية هذه توصلنا إلى النتائج الآتية الذكر :

1 - عندما يكون لصاحب الضريح من أولاد الأئمة نسل ممتد إلى التاريخ المعاصر ، وبيوت وعشائر حية ما تزال مؤثرة في تاريخها ، يكون تأثيرها حاضر في أفراد المجتمع ، ويزداد الاهتمام بها ، وبأضرحة أولادها وأجدادها .

2 - هناك العشرات من الأضرحة المنسوبة خطأ لنبات الحسن ، بسبب النهج المتبع من الحكومات المتعاقبة ، في محاولاتها لطمس معالم أضرحة الأولياء والعلماء ، وإيقاف تأثيرها . هذا من جهة ومن جهة أخرى أتباعاً لنهج الخلفاء من الطغاة ، في محاولاتهم لتشويه صورة الإمام الحسن (عليه السلام) .

3 - إن التشابه بالأسماء في نسبة أصحاب بعض الأضرحة وارد ، خاصة إذا تقادم الزمن عليها ، على إن ذلك التشابه والخطأ في النسبة ، لم ولن يؤثر على تزايد نشاط الأهالي ، وحماسهم في العمل والنشاط الثقافي والروحاني ، بتأثير وجود المزارات في مناطقهم .

الهوامش :

1 - الزبيدي ، حسن عبد الأمير : بيانات قرية جيزاني الإمام ، المركز الصحي في قرية جيزاني الإمام دراسة ميدانية .

- 2 - الزبيدي ، عبد الإله عبد العباس : تاريخ قرية جيزاني الإمام ، (مخطوطة غير منشورة) .
- 3 - ن . م .
- 4 - الحسني ، السيد عبد الرزاق : العراق قديماً وحديثاً ، دار اليقظة العربية ، بغداد ، ط 7 ، 1402 هـ / 1982 م ، ص 214 - 215 .
- 5 - الزبيدي : عبد الإله عبد العباس : م . س .
- 6 - ن . م .
- 7 - ن . م .
- 8 - ن . م .
- 9 - يعتقد إن قبره موجود في النهروان بين بكرة وجصان والمكتوب عليه إنه مرقد علي التبرتي وبالدرجة العامية بـ تـرـبـه . أنظر الحسني : م . س ، 215 .
- 10 - أبو سعيدة: المشجر الوافي ، القسم الأول في السلسلة الموسوية ، أنساب زنجية دناب لشتطعك ، ج 1 ، ص 365 .
- 11 - الحسني : م . س ، ونفس الصفحة .
- 12 - ن . م والصفحة .
- 13 - غريفة : جاءت تسميتها من مصغر غرفة .
- 14 - الغريفي ، محمود المقدس : مع النسب والنسابين ومعجم مصطلحاتهم ، النجف الأشرف ، ط 1 1419 هـ ؛ الموسوي ، السيد عبد الله : شبكة العراق الثقافية ، واحات العشائر ، واحه المضيف والتراث الشعبي ، أنساب السادة العلويين .
- 15- شبكة غريفي النجف ، ص 2 .
- 16 - ملتقى فجر البحرين : علي آل عصفور : تاريخ عائلة الغريفي البحرانية المشردة في العراق ، ص 28 .
- 17 - الموسوي ، السيد عبد الله : شبكة العراق الثقافية ، واحات العشائر ، واحه المضيف والتراث الشعبي ، أنساب السادة العلويين ، بتاريخ 1-11-2005 م .
- 18 - شبكة غريفي النجف ص 2
- 19 - سيرة حياة سماحة السيد علاء الدين الغريفي .

- 20 - النخعي : نسبة إلى النَّخَع (بفتح ن) ، قبيلة باليمن من مذحج . أنظر الزركلي ، خير الدين : الأعلام قاموس تراجم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 17 ، 2007 م .
- 21 - البلاذري ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346 هـ / 957 م) : أنساب الأشراف ، ج 5 ص 336 .
- 22 - المسعودي : إثبات الوصية ، ص 216 .
- 23- ن . م .
- 24- ن . م .
- 25- ن . م .
- 26 - المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار صار ، بيروت ، ط 1 ، ط 1 ، 1426 هـ / 2005 م ، ج 2 ، ص ص 335 - 336 ؛ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد (360 هـ / 970 م) : الكامل في التاريخ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، بلا طبعة ، بلا . تاريخ ، ج 4 ، ص ص 325-326 .
- 27 - حرز الدين محمد : مرقد المعارف في تعيين مرقد العلويين والتابعيين والرواة والعلماء والأدباء والشعراء ، ج 1 ، ص 34 .
- 28 - م . س . ج 4 ، ص 326 .
- 29 - م . س . ج 2 ، ص ص 335 - 336 ؛ ج 4 .
- 30 - المجلسي ، محمد باقر (1111 هـ /) : بحار الأنوار ج 1 ، ص 78 ؛ القمي ، عباس : سفينة البحار ومدنية الحكم والآثار ، ج 1 ، ص 78 ؛ مرقد المعارف ، ج 1 ، ص 34 .
- 31- السيد فاضل : بحوث في أنساب السادة الموسوية ، مخطوطة .
- 32 - دير الجاثليق : دير قديم البناء رحب الفناء ، وهو في رأس الحدّ ، بين السواد وأرض تكريت . أنظر الحموي ، أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (626 هـ / 1228 م) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، بلا . طبعة ، بلا . سنة ، ج 1 ، ص 503 .
- 33- نزهة دجيل : وهي بليدة كثيرة البساتين والشجر ، بينها وبين بغداد وأوان عشرة فراسخ من جهة تكريت ، وأما عكبرا فهي : أسم بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين . أنظر الحموي : م . س . والجزء والصفحة .
- 34- ابن الأثير : م . س . ج 4 ، ص 326 .
- 35- م . س . والجزء والصفحة .
- 36- مجلة البذرة ، مجلة شهرية ، النجف الأشرف ، العدد 493 ، سنة 1955م .
- 37- الحسيني : عبد الرزاق كمونة : منية الراغبين في طبقات النسابين ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط 1 ، 1392 هـ / 1972 م ، ص ص 3-4 .
- 38- العامري ، ثامر عبد الحسن : المرقد والمزارات في العراق ، بل . دار نشر ، بلا مكان ، بلا طبعة بلا سنة ، م . س . ص 5 .

39- ن . م ، ص 12.

40- ن . م ، ص 14.

41- الحسيني : م . س ، ص 4 .

42- م . س .

المصادر :

- 1 - ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد (360 هـ / 970 م) : الكامل في التاريخ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، بلا طبعة ، بلا . تاريخ .
- 2 - الحموي ، أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (626 هـ / 1228 م) : معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، بلا . طبعة ، بلا . سنة .
- 3 - المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346 هـ / 957 م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار صا ، بيروت ، ط 1 ، ط 1 ، 1426 هـ / 2005 م .

المراجع :

1. أبو سعيدة ، حسين الموسوي : المشجر الوافي ، القسم الأول في السلسلة الموسوية ، أنساب زنجية دنار ، لهتطبعك ، مؤسسة عاشوراء ، قم المقدسة ، مؤسسة عاشوراء ، ط 4 ، 1992 - 1996 م .
2. ابن عنبه ، أحمد بن علي : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، النجف الأشرف ، بلا رقم طبعة ، 1961 م .
3. حرز الدين ، محمد : موسوعة مرآة المعارف ، مطبعة القلم ، إيران ، بلا رقم طبعة ، بلا سنة .
4. الحسيني ، عبد الرزاق : العراق قديماً وحديثاً ، دار النقطة العربية ، بغداد ، ط 7 ، 1402 هـ / 1982 م .
5. الحسيني ، عبد الرزاق كمونة : منية الراغبين في طبقات النسابين ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط 1 ، 1392 هـ / 1972 م .
6. الزبيدي ، عبد الإله عبد العباس : تاريخ قرية جيزاني الإمام ، مخطوطة ، 7/7 / 1974 م .

7. الزركلي ، خير الدين : الأعلام - قاموس تراجم - ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 17 2007م .
8. العامري ، ثامر عبد الحسن : المراقد والمزارات في العراق ، بل . دار نشر ، بلا مكان ، بلا طبعة بلا سنة .
9. الغريفي ، محمود المقدس : مع النسب والنسابين ومعجم مصطلحاتهم ، النجف الأشرف ، ط 1 1419 هـ .
10. المجلسي ، محمد باقر (1111هـ / : موسوعة بحار الأنوار ، المطبعة الإسلامية ، طهران الطبعة 10 ، بدون تاريخ .
11. النجفي ، أحمد بن علي الدين الحسيني : المشجر الكشاف في أصول السادة الأشراف (بحر الأنساب المحيط) ، الناشر محمد مصطفى الرميني ، القاهرة ، بلا رقم طبعة ، 1356 هـ .

صورة ضريح الإمام كمال الدين بعد التفجير الإرهابي 71 - 6 - 2007 م :



• مزار الإمام كمال الدين بعد التعمير





مزار ابراهيم بن مالك



أضرحة بنات الحسن





